Mesopotamian journal of Arabic language studies
Vol.2025، **pp**. 1–11
DOI: https://doi.org/10.58496/MJALS/2025/001: ISSN: 3005–8910
https://mesopotamian.press/journals/index.php/MJALS

Ashura and Its Parallel Themes in Iraqi Vernacular Discourse: A Vernacularism-Based Analysis

"عاشورا" والثيمات المرادفة لها على ضوء المنهج المحلي

Riyad Sajit Salem[1،*]
[1] Department of Arabic Language, College of Islamic Sciences, University of Baghdad, Baghdad, Iraq.

رياض ساجت سالم[1،*]
[1] قسم اللغة العربية, كلية العلوم الإسلامية, جامعة بغداد, بغداد, العراق.

ABSTRACT

This paper presents a discourse analysis of the theme of Ashura عاشورا and its synonymous expressions in Iraqi vernacular literature, employing Vernacularism as an interdisciplinary research methodology. While Ashura holds deep religious, historical, and cultural significance in Iraq, its representation in vernacular literature extends beyond its theological meanings, shaping expressions of mourning, resistance, sacrifice, and social justice. Through Thematic Analysis, Retrospective Method, and Discourse Analysis, this study explores how folk poetry, oral traditions, lamentation chants, and contemporary literary works in the Iraqi dialect encode the Ashura theme within broader social, political, and cultural narratives.

By applying Vernacularism, the research highlights the local nuances and linguistic creativity through which Iraqi poets and storytellers have embedded Ashura into their cultural consciousness, often employing synonyms, metaphors, and idiomatic expressions that reflect communal memory and lived experience. The study also examines how Iraqi vernacular literature negotiates identity, belonging, and historical continuity through the evolving discourse surrounding Ashura.

Findings reveal that Ashura, as a vernacular theme, is not merely a historical event but an intertextual motif that resonates in various genres, from elegiac poetry (مراثي) to revolutionary songs, proverbs, and contemporary political discourse. The study argues that Vernacularism provides a necessary framework to decode such expressions within their native cultural contexts, resisting the reductive categorization of Iraqi oral and folk literature under elite historical or theological discourses.

By bridging linguistic, anthropological, and historical perspectives, this paper underscores the dynamic role of vernacular discourse in preserving and reinventing collective memory, demonstrating how Ashura, as a theme, continues to shape Iraqi cultural identity and resistance narratives across generations.

الخلاصة

تقدم هذه الدراسة تحليلا خطابيا لثيمة عاشوراء والتعبيرات المرادفة لها في الأدب الشعبي العراقي، مستندةً إلى المحلية (Vernacularism) كمنهج بحثي متعدد التخصصات.(ما بين تخصصي interdisciplinary فبالرغم من أن عاشوراء تحمل معاني دينية وتاريخية عميقة في العراق، إلا أن تمثيلها في الأدب الشعبي يتجاوز البعد العقائدي، ليعكس معاني الحزن، المقاومة، التضحية، والعدالة الاجتماعية. من خلال التحليل الثيمي، والمنهج الاستعادي، وتحليل الخطاب، تستكشف الدراسة كيف جسد الأدب الشعبي، التقاليد الشفوية، الرثائيات، والأعمال الأدبية الحديثة مفهوم عاشوراء داخل السياقات الاجتماعية، السياسية، والثقافية الأوسع .

باستخدام المحلية، تسلط الدراسة الضوء على الثراء اللغوي والتعبيري في اللهجة العراقية، حيث يعمد الشعراء والروائيين إلى تضمين عاشوراء في الوعي الثقافي عبر المجازات، الاستعارات، والتعبيرات الاصطلاحية) الشوارد اللغوية (Idioms) التي تعكس الذاكرة الجماعية والتجربة المعيشة. كما تبحث الدراسة في كيفية تفاوض الأدب الشعبي العراقي مع مفاهيم الهوية والانتماء والاستمرارية التاريخية من خلال الخطاب المتحول حول عاشوراء .

تكشف النتائج أن عاشوراء، باعتبارها موضوعا شعبيا، ليست مجرد حدث تاريخي، بل رمز بين–نصي (intertextual motif) يتردد صداه في أنواع أدبية مختلفة، بدءا من المراثي الحسينية إلى الأغاني الثورية والأمثال الشعبية والخطاب السياسي المعاصر. وتجادل الدراسة بأن منهج المحلية يوفر إطارا ضروريا لفك شفرة هذه التعبيرات ضمن سياقاتها الثقافية الأصلية، مما يحدّ من التصنيفات الاختزالية للأدب الشفوي والشعبي العراقي تحت الخطابات اللاهوتية أو التاريخية النخبوية .

من خلال دمج المنظور اللغوي والأنثروبولوجي والتاريخي، تبرز الورقة الدور الديناميكي للخطاب الشعبي في حفظ وإعادة تشكيل الذاكرة الجماعية، موضحةً كيف تستمر ثيمة عاشوراء في تشكيل الهوية الثقافية العراقية وسرديات المقاومة عبر الأجيال.

*Corresponding author riad.salem@cois.uobaghdad.edu.iq

CC BY

Keywords
الكلمات المفتاحية

المحلية، تحليل الخطاب، التحليل الثيمي، عاشوراء، طقوس الرثاء

Vernacularism, Discourse analysis, Thematic analysis, Ashura (عاشورا), Mourning rituals

Received	Accepted	Published online
استلام البحث	قبول النشر	النشر الالكتروني
16/10/2024	14/12/2024	15/1/2025

١. مقدمة

قبل صدور كتاب ناصر الحجاج "المحلية العربية" Arab Vernacularism كان الباحث في اللسانيات مجبرا على الاعتماد المدونات والمصادر المكتوبة باللغة العربية الفصحى، أي على القواميس والمعاجم المكتوبة قبل قرون للوقوف على معاني الكلمات ودلالاتها، وعلى استعمالاتها في أوان تأليف تلك المعاجم، وكان من الصعوبة بمكان اللجوء إلى البحث الميداني وتدوين كلام الناس اليومي بلغاتهم المحكية المحلية ما لم يكن هناك مرجعية نصيّة تدعم تلك الشواهد. ولهذا فقد فتح الكتاب الباب على دراسة المحليات اللغوية والثقافية، وأسهم في توجيه الباحث لاعتماد البحث الاسترادادي، والتحليل الثيمي، ميسرا مهمته، بما يعد تحولا جذريا في فهم قيمة اللغة المحكية على اللغة المكتوبة، وفي إعادة القيمة الحقيقية للغات الطبيعية، التي تم احتقارها واعتبارها فسادا للسان، بإزاء ما هو مدون "باللغة العربية الفصحى". فقد كان الباحث في اللهجات العربية (اللغات المحلية) متهما بالمؤامرة أو بالتواطؤ مع الغرب لتغيير العالم العربي (المحلية العربية ص ١٣٥).

إن حاجة الباحث اللساني ماسة إلى النظر في اللغات المحلية المحكية، ليس الباحث اللساني وحسب، بل الباحث الاجتماعي والانثروبولوجي وسائر العلوم الإنسانية الحديثة بما فيها معالجة اللغة الطبيعية Natural Language Processing NLP التي أسهمت في الطفرة الكبيرة في مجال الذكاء الاصطناعي Artificial Intelligence AI ، إذ إن من الضروري أن يقف الباحث اللساني مليا عند استعمال الناس للألفاظ لفهم التحولات الاجتماعية عبر أنظمة اللغة وسيرورتها فهي تذيع أسرار التغيّر في السلوك الفردي والاجتماعي بين وقت وآخر.

يعد المنهج المحلي Vernacularism methodology أبرز المناهج النقدية المعاصرة التي تكفلت بالبحث والتحري عن العناصر والثيمات المحلية كما هي في استعمالها اليومي وبلغتها الطبيعية، مما مهد الطريق للباحثين في مختلف العلوم الإنسانية أن يتناولوا بالبحث كل ما كان محظورا ومهمشا، ومعزولا من الثيمات، والعناصر التي يتضمنها العمل الأدبي أو الفني وحتى النص الديني، وهو ما يضع المحلية في مقدم النظريات السابقة مثل البنيوية وما بعد البنيوية poststructuralism والحداثة وما بعد الحداثة postmodernism والاستعمارية وما بعد الاستعمارية postcolonialism.

إن المحلية لا تقف بالضد من المدونات التاريخية، بل هي تدعو إلى الانصاف، وعدم الانحياز إلى لغة محلية دون أخرى، أو إلى اتجاه دون آخر، بما يحقق التوازن بين القديم والجديد، باعتبار أن اللغة كظاهرة اجتماعية ثقافية (المحلية العربية، ص ٩) تتطور وتتبدل تبعا لتغير ثقافة المجتمع. ففي الحضارة الإسلامية مثلا كان استعمال لفظة الجاهلية في القران المجيد حاجزا عن الرجوع للطريقة القديمة للحياة، وقد استعملت الفاظ جديدة، أو ألفاظ قديمة محملة بدلالة جديدة لدفع الناس في تحديث حياتهم.

ولا بد من الإشارة إلى تأثير البيئات المختلفة في أنماط الحياة للكشف عن قابلية كل بيئة بما يكشف التعاضد بين الوضع السياسي والاجتماعي والبيئي في انشاء الحركات الاجتماعية، ومن بينها إن لم تكن أبرزها البيئة اللغوية أو اللسانية التي تشكّل علامات يهتدون بها.

ففي ثيمة عاشورا، حيث قضية استشهاد الإمام الحسين (ع)، تناول كتاب المحلية العربية هذه الثيمة في ثلاثة بيئات اجتماعية محلية عربية متنوعة؛ في المشرق العربي (ص ١٥١)، وفي السودان ومصر، وفي المغرب، (ص ١٥٤) مبينا تردد المعنى الدلالي بين الحزن، والتعاون، والفرح، حيث يبدو بذل الطعام سمة

مشتركة (المحلية العربية ص ١٥١)، وباستعمال المحلية كمنهج بحث ينطوي على استعمال التحليل الثيمي Thematic analysis (ص ٢٣) مع المنهج الاستردادي Retrospective method (ص ٢٤) وهو ما يعين على تتبع الثيمة ومسار تطورها الدلالي في بعدها الاجتماعي والانثروبولوجي، وعلى هذا بين البحث ما ورد في التراث والصبغة الشعبية عند العوام (الرواية المحلية) Vernacular narrative في جوانب مختلفة عن الرواية الرسمية Formal narrativeحتى يبلغ الاختلاف مستوى الكنية فهو ابو عبد الله كما تشير الروايات لكن كنيته عند العراقيين اليوم ابو علي فهم يرحبون بـ"زوار ابو علي" ليأكلوا "زاد ابو علي" ويشربوا "شاي ابو علي" إلا إنهم في التوجه لزيارة المرقد يخاطبونه بما جاء في التراث: السلام عليك يا أبا عبد الله، من غير احتمال للالتباس بالإمام جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام إذ كان هو المتبادر لأذهان أهل الحديث عند ورود كنية أبي عبد الله.

ومثله ابو الفضل إذ هو ابو فاضل عند العوام والمهدي ع ابو القاسم هو ابو صالح وهم لا يخالفون التراث في استعمال اسماء من كنّوا بهم وحسب، بل هم يخالفون نظم النحو في اعراب الاسماء الستة بالحروف بما يقتضي ان يكون المضاف إليه في التراكيب السابقة مجرورا بالياء وهو ما تأباه اللغة المحلية الدارجة فتستعمل "أبو" بهذه الصورة على كل حال.

وهكذا تردد على ألسنة العراقيين ألفاظ ربما يصعب على غيرهم معرفتها لخصوصيتها المحلية Vernacular language إذ أنها وليدة وضع ثقافي خاص يتعلق بزيارة أهل البيت ع رغم أن جذورها في الغالب عربية خالصة لكن الاتساع الدلالي انزاح بمعانيها الى معان جديدة.

واقتضى البحث ان يخصص المبحث الأول للسانيات الاجتماعية ضمن النظرية المحلية (Vernacularism theory) وأثرها في علم اللغة والمبحث الثاني للتطور الدلالي في ألفاظ "يوم عاشوراء" و"ليلة الحجة" أو "ليلة المحيا" و"يوم الطبگ" وما جرى من تغير لها بعد استعمالهما في اللسان العربي، والمبحث الثالث في أثر هذه الأسماء في مستعمليها "شعائر" أو "طقوسا" ويتبع بخاتمة تشتمل على نتائج تضع البحث على منصة المعالجة الاجتماعية للمشكلة.

٢. المبحث الأول: المحلية في البحث اللساني والانثروبولوجي

١. اللسانيات الاجتماعية

يشكل التغير الاجتماعي– اللساني الوحدة التحليلية للسانيات الاجتماعية، وإنه ليكون عنصراً لسانياً يتغير بالمصاحبة مع متغيرات غير لسانية، مثل الطبقة الاجتماعية، والجنس، ومدونة الخطاب.[١]

ولذا جعلوا لعلوم اللسان ثلاثة أقسام للسانيات الاجتماعية، هي:

- اللسانيات الاجتماعية المتغيرة
- أتنوغرافيا الاتصال
- اللسانيات الاجتماعية التفاعلية أو "التأويلية"[٢]

وقد فرقوا بين:

–علم اللغة الاجتماعي/ linguistique/ linguistique.

و_لسانيات اجتماعية (سوسيو لسانيات) / sociolinguistics/ sociolinguistique من جهة

و_علم اجتماع اللغة / sociologie du language/ sociology of language من جهة أخرى. [٣]

فالفرد ككائن اجتماعي لا يملك إلا إمكانات محدودة في طرائق استعماله لعلامات اللغة أثناء تواصله محكوما باللاشعور الثقافي والاجتماعي والديني الذي يحدد له إمكانيات التفكير ويخضع لما يسميه كريماص "لعبة الإكراهات السيميائية".

---

[١] القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان، أوزالد ديكو، وجان ماري سشايفر، ترجمة د. منذر عياشي المركز الثقافي العربي، بيروت–لبنان، الدار البيضاء–المغرب، ط٢، ٢٠٠٧م، ١٣٥.

[٢] القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان، ١٣٤–١٣٨، والأتنوغرافيا هي الاجناس البشرية.

[٣] معجم المصطلحات اللسانية، د. عبد القادر الفاسي الفهري بمشاركة: د. نادية العمدي، ٣٠٩.

ولدراسة أثر التغير الاجتماعي في ألسنة الناس (سنّت اللسانيّات أعرافاً مستحدثة في توالج حقول المعرفة واحتضنت ولادة علوم تظافريه راسخة ما فتئت تتعدد وتتنوّع. بدأت قائمتها باللسانيّات النفسية واللسانيّات الاجتماعية.)[١]

وتتفرع حقول المعرفة اللسانية بطرائق شتى على وفق الأغراض المتعددة للدراسة، فمنها: اللسانيات العامة واللسانيات الوصفية، واللسانيات التاريخية، واللسانيات النظرية واللسانيات التطبيقية، واللسانيات المضيّقة، واللسانيات الموسَّعة؛ وفي هذا الفرع الأخير يحصل التداخل، أو التمازج العلمي بين اللسانيات والانثروبولوجيا. وتعرَّف اللسانيات المضيّقة: بأنها العلم الذي يقصر اهتمامه البحثي على بنية اللغة، وأنظمتها، من دون النظر في العلاقات القائمة بين الثقافة واللغة، ومن دون النظر في العوامل الفيزيائية والنفسية التي تؤثر في السلوك اللغوي. وتعرَّف اللسانيات الموسعة: بأنها العلم الذي يدرس اللغة مقرونةً بعلم آخر، فنشأت بذلك اللسانيات الاجتماعية، واللسانيات النفسية، واللسانيات العرقية، واللسانيات الأسلوبية، واللسانيات القانونية[٢]

ومن المعلوم أن المدرسة البنيوية تهمل السياق كلياً، وتعتمد النص ذاته بوصفه إطارا وحيدا للفهم والتحليل، فيما تذهب التداولية (Pragmatics) والاتجاهات اللسانية الوظيفية واللسانيات الاجتماعية عامة إلى اعتماد السياق بوصفه جزءا أساسيا من الجملة والنص ذاتهما.

واللسانيات الاجتماعية التطبيقية تقوم على مُستخلصات من العلوم اللسانية والعلوم الاجتماعية، مُعَوِّلة على الالتقاء بينهما للبحث والحفر في عمق النسق الثقافي والاجتماعي والديني المنتج للعلامات، و(تهدف من وراء ذلك إلى فهم ثقافات الجماعات البشرية، وتجريد بنياتها الفاعلة المؤثرة في سيرورة أحداثها اليومية، عن طريق تحليل منتجاتها اللسانية والسيميائية، فهذا العلم الإنساني هو الحقل المشترك، الذي يتوسط، بل يشكّل منطقة التمازج بين الانثروبولوجيا واللسانيات، المنتفع من الأسس المنهجية الداعمة للعلمين كليهما من أجل تحقيق هدف الحصول على المعرفة. فهو ليس حاصل جمع اللسانيات والانثروبولوجيا جمعا تحشيديا، أو تكديسيا، بل حاصل امتزاج فاعل لهذين العلمين المهمين، اللذين لا غنى لأحدهما عن الآخر في محاولة فهم الظاهرة الإنسانية[٣]

غير أن كثيرا من الباحثين اقتصروا في اللسانيات الاجتماعية على البحث في مفهوم "اللهجة" قديما أو حديثا إذ يمكن تفسيره بمعنى التطور اللغوي أو التنوع داخل اللغة التي انبثقت عنها هذه اللهجة، وكان العرب قديما يطلقون عليه (لغة) أو (لحنا) أما اللغة عندهم فكان يشار إليها بلفظ (لسان) وتدرج العلاقة بين الفصحى ولهجاتها ضمن ما يسمى بالتنوع اللغوي وهو غير مقصور على اللغة العربية وحدها، وإنما هي سمات تتسم بها سائر اللغات الحية الكبرى.

ولقد أثار استعمال مصطلح الازدواج اللغوي Diglossia في وصف العلاقة بين اللغة الفصحى ولهجاتها ردودا متباينة عندما أطلقه عالم اللسانيات الاجتماعية تشارلز فيرغسون لوصف حالة اللغات العربية في مقال له نشره بالانسيكلوبيديا البريطانية، ولا سيما عند اللسانيين العرب، فما المقصود بهذا المصطلح؟

يرى فيرغسون أن الازدواج اللغوي وضعية لسانية تعكس نوعين أو أكثر للغة الواحدة، يستعملها المتكلمون في ظروف مختلفة ويؤدي كل تنوع دورا محدودا. يقع اكتساب النوع الأول في ظروف طبيعية وهو ما يطلق عليه اسم "اللغة الأم"، ويستعمل في محيط الأسرة والأصدقاء، أما النوع الثاني فهو يكتسب عن طريق نظام التعليم ويستعمل غالبا في مستوى الكتابة أو في المواقف الخطابية الرسمية ويكون موازيا للأول. لكنه مختلف عنه، بحيث يكون أكثر تعقيدا على المستوى النحوي ويكون حاملا لأدب واسع رفيع مكتوب .. ويقترح فيرغسون، للتمييز بينهما تسمية النوع الأول الذي اكتسب للاستعمال المحلي باسم "النوع الأدنى"، والنوع الموازي الذي اكتسب عن طريق المدرسة "بالنوع الأعلى". وهذا الموقف يتناسب مع مفهوم التعقيد النسقي للغة في العصر الحديث؛ إذ لم يعد أحد يقول بنقاء اللغة وصفاء معجمها وخلوها من التأثير والتأثر خارجيا باللغات المجاورة، أو داخليا بفعل استعمال أصناف متباينة من الطبقات الاجتماعية والثقافية للغة، مما يؤدي داخل اللغة الواحدة إلى ظهور مستويات أو تنوعات سواء على المستوى الصوتي أو الصرفي أو التركيبي، تشكل بدورها أنساقا فرعية داخل النسق الأم. وهذا ما يطلق عليه بعض الباحثين اسم " اختلاط السنن ويقصد به وجود تنوع أو عدة تنوعات لغوية مختلفة في خطاب المتكلمين، ويعزى ذلك لعدة أسباب. من بينها استعراض المستوى الثقافي للمتكلم، وأحيانا يكون السبب راجعا إلى الميل إلى عدم بذل الجهد في البحث عن اللفظ المناسب، فيستعير المتكلم أي لفظ عنَّ له بالصدفة، وقد يكون من مصدر مخالف للسنن الذي يتحدث به. وأكثر ما تكون الاستعارة بين سنن وآخر على مستوى المعجم وهذا ما جعل "الدراسات تنصب على ظاهرة

---

[١] مباحث تأسيسيّة في اللسانيّات، د. عبد السلام المسدّي، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت–لبنان، ط١، ٢٠١٠م، ١٢.

[٢] ينظر: الألسنية، علم اللغة الحديث، ميشال زكريا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت–لبنان، ط٢، ١٩٨٣م، ١٤٤–١٤٥، ومدخل إلى اللسانيات، د. محمد يونس علي، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت–لبنان، ط١، ٢٠٠٤م، ١٣–٢٢.

[٣] اللسانيات الأنثروبولوجية/ منظور معرفي لدراسة بنية الثقافة العراقية، جواد كاظم إبراهيم التميمي، اطروحة دكتوراه في كلية الآداب في الجامعة المستنصرية، ٢٠١٦م، ١٩–٢٠.

اختلاط السنن"[١] من هذه الزاوية، تقابلا بين اللغة واهلها واللهجة وأهلها لا في اللغة الفصحى نفسها بما تنوعت السنن فيها على أساس التفريق الذي اقترحه دوسوسير بين اللغة والكلام.

وتأثر اللغة بالعادات والتقاليد والنظام الاجتماعي في زمان ومكان معينين قائم منذ أنْ وُجدت اللغة، ووجدت الحياة الاجتماعية، فجوهر الإنسان إنّما يكمنُ في لغته النامية بين طيات حياته الاجتماعية.

والنظر في العلاقات بين الظواهر اللغوية والظواهر الاجتماعية قديم لا ريب، غير أنّه لم يستوِ كمّاً ونوعاً وتنظيراً، ومنهجاً، وروواداً إلا في القرن الماضي في ظل علم جديد من علوم اللغة سمي اللسانيات الاجتماعية، وبحث في هذا العلم د. هادي نهر فيه معرفاً به بالوقوف على ملامحه الأولى في الدراسات الإنسانية، مندرجاً مع تطور الأفكار التي تصبّ في مصبّه، مستعرضاً إياها في نموها، وارتقائها، وتعددها بتعدد أصحابها، وتنوّع مشاربهم الفكرية، وهو أيضاً محاولة لرصد ما في تراثنا العربي من اسهامات في الدرس اللغوي الاجتماعي للوقوف على ما قدّمه اللغويون العرب في هذا الميدان.[٢]

وقد أشار د. عبد الله الغذامي لهذا الإرث العميق في العلامات بتسميته وشما للدلالة على الثبوت وعدم الانفكاك عن ايحاء لصق به، فقال:

أما الموشومة فتعني في علم اللسانيات "أنه قد تمت تعبئة المصطلح الذي يحمل صفة "موشوم" بمعانٍ سلبية"، وفي هذا الإطار فإنه يُقصد بمصطلح "الليبرالية الموشومة" الإشارة إلى أن الليبرالية من بين أكثر المصطلحات التي أثارت جدلاً حولها في الفكر السياسي في العالم العربي والإسلامي، ولأنها وارد غربي، فإنها عُبِّئت بمعانٍ سلبية.[٣]

وأوضح المصطلح الدال على لفظة لازم استعمالها دلالة السلب، بأمثلة مشهورة مثل لفظة "الاستيطان" إذ ارتبطت بالمستوطنين الصهاينة ولفظة "الاستعمار" وهي في الاصل طلب لعمارة الأرض وبنائها ولكن تاريخ اللفظة مع الإمبريالية واحتلال دول صارت موشومة عبر استعمالها بمعناها السلبي.

وربما سمي في معجمات المصطلحات اللسانية وَسْما (بالسين) marking / marquage. [٤]

وقد قصدت في بحثي هذا الانتفاع من اللسانيات الاجتماعية في فهم ما علق باستعمال ألفاظ " يوم عاشوراء و"ليلة الحجة" أو "ليلة المحيا" و"يوم الطبگ" في العربية بلهجاتها المختلفة وكيف كان للفظة الأولى الصدارة في المنزلة إذ تراجع ما سواها بتأثير النسق الثقافي المهيمن للكشف عن أدواته السياسية والاجتماعية والدينية، أو ما يمكن أن نسميه البيئة اللغوية.

ولعل للغة أعظم الأثر في الحياة ومصائر الناس ولا سيما في الفقه والعقيدة فعلى سبيل المثال؛ تنقسم إلى فرق ومذاهب، وأحكامه حلال وحرام، وبحسبها درجات في الجنة ودركات في النار؛ وللدلالة على الخطر الشديد من تحريف الكلام نبه الله سبحانه على من فعلوه مرتين: (مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ)[٥] أي: بتحريف سياقه ووضعه في سياق مختلف وثالثة في قوله تعالى: (ومِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ)[٦] بما يدلّ على تعمد لتحريف الدِّين والحق من أجل سماع الكذب.

٢. المحلية في البحث اللساني والانثروبولوجي

شكلت المنهج المحلي Vernacularism methodology [٧]مرحلة جديدة في حقول النقد الثقافي، لأجل إدراك البعد المحلي للقيم والمفاهيم ولدراسة الآداب والتراث، إذ أعادت المحلية Vernacularism الاعتبار للروايات المهمشة أو المستبعدة من التي استبعدتها الرواية الرسمية، أو أي هيمنة ثقافية أخرى Cultural hegemony سواء منها القصص الرسمية مثل قصة "ياجوج ومأجوج" وصيغتها القرآنية ﴿ قالوا ياذا القرنين إن يأجوج ومأجوج مفسدون في الأرض فهل نجعل

---

[١] ينظر: في اللسانيات الاجتماعية، ترجمات، دراسات، مقالات، د. محي الدين محسب، دار كنوز المعرفة، ٣٨ وما بعده.

[٢] ينظر: اللسانيات الاجتماعية، د. هادي نهر، دار الأمل للنشر والتوزيع، عمان–الأردن، ط١–١٩٩٨م، ١٧ وما بعدها.

[٣] الليبرالية الجديدة أسئلة في الحرية والتفاوضية الثقافية، د. عبدالله الغذامي، المركز الثقافي العربي، ٦١، وينظر: القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان، ٢٤٩–٢٥١.

[٤] معجم المصطلحات اللسانية، ١٨٧.

[٥] سورة النساء، من آية ٤٦، وينظر: سورة المائدة، آية ١٣.

[٦] سورة المائدة، آية ٤١.

[٧] المحلية العربية، ناصر الحجاج، ص ١٠.

لك خرجا على أن تجعل بيننا وبينهم سدا ﴾ [١] بينما تحمل الرواية المحلية، في العراق، قصة يأجوج ومأجوج من المخيلة الشعبية «المحليّة»، فهي تصوّرهما على شكل رجل وامرأة، ضخام الأجسام، لهما آذان كبيرة يفترشان واحدة، ويلتحفان الأخرى، وقد حبسهما الاسكندر بعد أن بنى عليهما سدّا من الفولاذ، وهما يحاولان الخروج، فلا يستطيعان، فيقومان بلحس الجدار الحديدي بلسانين كالمبرد، فيكون الجدار رقيقاً كقشرة البصل، وهما لا يعلمان، فيأخذهما التعب ويقولان بعد نهايّة كل يوم سنكمل لحس الجدار غداً، (ولا يقولان: إن شاء الله) فيذهبان ليخلدا للنوم، إلا أنهما حين يعودان في صباح اليوم التالي لاستكمال نقب الجدار بلسانين كالمبرد، يكون الجدار قد عاد إلى عهده من المتانة «بمشيئة الله». [٢]

أما في قضية الازدواج اللغوي Diglossia التي طرحها كل من چارلس فرغسون، وصالح جواد الطعمة، فقد عارضت المحلية كما طرحها الحجاج، (ص ١٨٣) الرأي الذي يعتبر ظاهرة الازدواج في اللسان العربي ظاهرة طبيعية، مؤكدة أنها ظاهرة مصطنعة، وأن النحويين أخطأوا في كثير من المواضع في قياسهم لظواهر لم يتم دراستها، بناء على ظواهر درسوها، منها اغفالهم الفعل الثنائي، [٣](فع، فعّت . مد، مدّت) وقياسهم إياه على وزن الثلاثي (فعل، مدد)، ومنها فرضهم الحركات الإعرابية على أواخر الكلمات بما صنع لغة كتابة جديدة تخالف في مواضع أواخر الكلمات كل اللغات المحلية العربية التي لا تعير أهمية لحركات الأواخر Case endings، [٤]وبهذا يكون الحجاج قد خالف فيرغسون بإثباته أن الازدواج اللغوي مصطنع وليس ظاهرة طبيعية في اللسان العربي، وأن العرب يتحدثون بلسان عربي يحمل تنوعات لغوية وثراء دلاليا هائلا، إلا أن النحويين استعبدوا تلك التنوعات اللسانية والثقافية بحجة أنها "غير فصحى".

٣. المبحث الثاني : يوم عاشوراء و"ليلة الحجة" أو "ليلة المحيا" و"يوم الطبگ"

١. لفظة "عاشوراء"

إن للعدد اثرا كبيرا في حياة العرب، ولو كانوا أميين، فلا تجد عدداً أو جزءا من العدد لا يذكره القرآن المجيد وهو يخاطبهم حتى استقر في وجدانهم الإتمام بالعشرة، بأثر قوله تعالى: (وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً)[٥] ولعل هذه التجزئة هي التي دعت إلى إفراد الجزء المتم بالقسم في قوله: (وَالْفَجْرِ، وَلَيَالٍ عَشْرٍ)[٦] ولذا جعله أفضل الجزاء في قوله: (مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا)[٧] كأنما هي الغاية، فعيّنها لهم بقوله: (أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ)[٨] بعد عجزهم عن الإتيان بمثله في المرحلة الأولى من التحدي. ومثله في مَنْ لَمْ يَجِدْ مَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ في الحج لِيتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ : (فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ)[٩] وكفّارة اليمين في قوله تعالى: (يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ)[١٠].

وجعل الخليل بن أحمد الفراهيدي، (ت١٧٠هـ) عرض الإبل على الماء لتشرب أصلا فيه إذ: (العِشر: وِرْدُ الإبل اليوم العاشر. وفي حسابهم: العِشْرُ: التاسع. وإبلٌ عواشُر: وردت الماء عشراً... والعاشِرةُ: حلقة من عواشر المصحف... وعاشوراء: اليوم العاشرُ من المحرّم[١١]

---

[١] سورة الكهف، آية ٩٤.

[٢] المحلية العربية، ص ١٤٧.

[٣] المحلية المصدر السابق، ص ٢٣٠.

[٤] المصدر نفسه،ص ٢٢٧.

[٥] سورة الأعراف، آية ١٤٢.

[٦] سورة الفجر، آية ٢،١.

[٧] من سورة الانعام، آية ١٦٠.

[٨] سورة هود، آية ١٣.

[٩] سورة البقرة، آية ١٩٦.

[١٠] سورة المائدة، آية ٨٩.

[١١] كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٠هـ)، تح د مهدي المخزومي ود إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، ٢٤٥/١.

وجعل ابن فارس للْعَيْن وَالشِّين وَالرَّاء أَصْلَين صَحِيحَين: أَحَدُهُمَا فِي عَدَدٍ مَعْلُومٍ ثُمَّ يُحْمَلُ عَلَيْهِ غَيْرُهُ، وَالْآخَرُ يَدُلُّ عَلَى مُدَاخَلَةٍ وَمُخَالَطَةٍ... وَعَشَرْتُ الْقَوْمَ، إِذَا أَخَذْتَ عُشْرَ أَمْوَالِهِمْ. وَيُقَالُ أَيْضًا: عَشَرْتُهُمْ أُعَشِّرُهُمْ تَعْشِيرًا. وَبِهِ سُمِّيَ الْعُشَّارُ عَشَّارًا... نَاقَةٌ عُشَرَاءُ، وَهِيَ الَّتِي أَقْرَبَتْ، سُمِّيَتْ عُشَرَاءُ لِتَمَامِ عَشَرَةِ أَشْهُرٍ لِحَمْلِهَا. يُقَالُ: عَشَّرْتُ النَّاقَةَ تُعَشَّرُ تَعْشِيرًا، وَهِيَ عُشَرَاءُ حَتَّى تَلِدَ...وَعَاشُورَاءُ: الْيَوْمُ الْعَاشِرُ مِنَ الْمُحَرَّمِ.

فَأَمَّا الْأَصْلُ الْآخَرُ الدَّالُّ عَلَى الْمُخَالَطَةِ وَالْمُدَاخَلَةِ فَالْعِشْرَةُ وَالْمُعَاشَرَةُ.[١]

وَلو ردّه للأصل الأول لم يكن مجانبا للصواب؛ فإنما تكون العشرة والمعاشرة بالتعارف والمصافحة، وهو التقاء خمس بخمس، أي: خمسة أصابع من كل كفّ.

ونقل ابن منظور عن الأَزهري قوله: وَلَمْ يُسْمَعْ فِي أَمثلة الأَسماء اسْمًا عَلَى فاعُولاءَ إِلا أَحْرُفٌ قَلِيلَةٌ. قَالَ ابْنُ بُزُرج: الضّارُوراءُ الضَّرّاءُ، والسارُوراءُ السَّرّاءُ، والدّالُولاء الدّلال. وَقَالَ ابْنُ الأَعرابي: الخابُوراءُ مَوْضِعٌ، وَقَدْ أُلْحِقَ بِهِ تاسُوعاء... وعَواشِرُ الْقُرْآنِ: الآيُ الَّتِي يَتِمُّ بِهَا العَشْرُ. والعاشِرةُ: حَلْقةُ التَّعْشِير مِنْ عَواشِر الْمُصْحَفِ، وهي لفظة مولَّدة.

والعِشْرَةُ: الْمُخَالَطَةُ ...وَقَالَ اللَّيْثُ: المَعْشَرُ كُلُّ جَمَاعَةٍ أَمرُهم وَاحِدٌ[٢]

وَرُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنه صلى الله عليه واله وسلم قَالَ فِي صَوْمِ عَاشُورَاءَ: لَئِنْ سَلِمْتُ – إِلَى قَابِلٍ، لَأَصُومَنَّ الْيَوْمَ التَّاسِعَ، يَعْنِي عَاشُورَاءَ "[٣] وَهذه الزيادة في آخره تفتتح اضطرابا كبيرا لِعدّة مِنَ التأْويلات أَحدُها أَنه كَرِه مُوَافَقَةَ الْيَهُودِ لأَنهم يَصُومُونَ اليومَ العاشرَ، فهل اطلع على فعلهم في السنة الأخيرة من عمره الشريف فلم يدرك دورته؟ وأنّى له أن يوافقهم وهم يضيفون شهرا كل ثلاث سنين؛ لئلا تبتعد سنتهم القمرية عن السنة الشمسية التي يحتاج إليها في الفلاحة وقد أكّد الله سبحانه في قوله: (إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ)[٤] ومنع مخالفة ذلك فشدّد في قوله: (إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِيُوَاطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ زُيِّنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ)[٥]

وَإِن كان هذا التأويل يمس الاعتقاد فغيره يؤدي لفوضى عقلية إذ يَحْتَمِلُ كما زعموا أَن يَكُونَ التاسعُ هُوَ الْعَاشِرَ؛ ولذا قالوا بالجمع بين اليومين، ولم يشيروا لما جرى في عاشوراء على سيّد شباب اهل الجنة وأهل بيته وأنصاره، إذ كانت التأويلات كلها لإشغال الناس عنه ولم يفلحوا.

٢. لفظة الحِجَّة (الحِيّة) أو ليلة المحيا

في لغة تميم "حيث يقلب حرف الجيم ياءً" وهي ظاهرة لسانية ما تزال سارية في معظم المناطق الجنوبية وحتى في بعض دول الخليج، ولهذا فإن لفظة الحِيّة: اصلها حِجّة، (الحِيّة) هنا المقصود بها إحياء ليلة العاشر من شهر محرم، حيث يسهر (يحيي) الناس ليلتها حتى الصباح ولا يقصد بها إلا الليلة دون نهارها؛ كأن النوم موت ويجعل زمانه مثله، فإن قام الناس للعبادة كان إحياء لميت الليل فعلى هذا يكون أصلها من (حَيِيَ يَحْيا فهو حَيّ، ويقال للجميع: حَيُّوا. ولُغة أُخرَى: حيّ يَحَيُّ، والجميع: حَيُوا خفيفة مثل: بَقُوا. والحَيَوانُ: كلّ ذي روحٍ. الواحدُ والجميعُ فيه سواء. والحَيَا– مقصور–: حَيَا الرّبيع، وهو ما تحيا به الأرض من الغيث. والمحاياة: الغذاء للصبيّ بما به حياته. والمحاياة: تحيّةُ القوم بعضِهم بعضاً. والحيُّ: الواحدُ من أحياء العرب. وحَيَا الشاة: مقصور وممدود– لغتان. والمُحَيّا: الوجهُ. وقول العرب: حيّاك اللهُ: يعني: الاستقبال بالمُحَيّا، ويحتمل أن يكون اشتقاقه من الحياة. وتقول: حيّاك الله وبيّاك، أي: أفرحك وأضحكك، ويقال: بيّاك تَقْوِيةٌ لحيّاك.)[٦]

ولذا جُعل الْحَاءُ وَالْيَاءُ وَالْحَرْفُ الْمُعْتَلُّ أَصْلَين: أَحَدُهُمَا خِلَافُ الْمَوْتِ، وَالْآخَرُ الِاسْتِحْيَاءُ الَّذِي هُوَ ضِدُّ الْوَقَاحَةِ.

فَأَمَّا الْأَوَّلُ فَالْحَيَاةُ وَالْحَيَوَانُ، وَهُوَ ضِدُّ الْمَوْتِ وَالْمَوَتَانِ. وَيُسَمَّى الْمَطَرُ حَيًا لِأَنَّ بِهِ حَيَاةَ الْأَرْضِ. وَيُقَالُ نَاقَةٌ مُحْيٍ وَمُحْيِيَة: لَا يَكَادُ يَمُوتُ لَهَا وَلَد. وَتَقُولُ: أَتَيْتُ الْأَرْضَ فَأَحْيَيْتُهَا، إِذَا وَجَدْتَهَا حَيَّةَ النَّبَاتِ غَضَّة.

---

[١] معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، (ت٣٩٥هـ)، تح عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م، ٣٢٤/٤–٣٢٦.

[٢] لسان العرب، ابن منظور، (ت٧١١هـ)، دار صادر – بيروت، ط٣، ١٤١٤ هـ، ٥٦٨/٤–٥٧٥.

[٣] مسند الإمام أحمد بن حنبل (ت٢٤١هـ)، تح: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠١ م، ١٦/٤، وينظر: سنن ابن ماجه (ت٢٧٣هـ)، تح محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر – بيروت، ٥٥٢/١، والسنن الكبرى، أبو بكر البيهقي (ت ٤٥٨هـ)، تح محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط٣، ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٣م، ٤٧٤/٤.

[٤] سورة التوبة، آية ٣٤.

[٥] سورة التوبة، آية ٣٧.

[٦] كتاب العين، ٣١٧/٣–٣١٨.

وَالْأَصْلُ الْآخَرُ: قَوْلُهُمُ اسْتَحْيَيْتُ مِنْهُ اسْتِحْيَاءً. وَقَالَ أَبُو زَيْدٍ: حَيِيتُ مِنْهُ أَحْيَا، إِذَا اسْتَحْيَيْتَ. فَأَمَّا حَيَاءُ النَّاقَةِ، وَهُوَ فَرْجُهَا، فَيُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ مِنْ هَذَا، كَأَنَّهُ مَحْمُولٌ عَلَى أَنَّهُ لَوْ كَانَ مِمَّنْ يَسْتَحْيِي لَكَانَ يَسْتَحْيِي مِنْ ظُهُورِهِ وَتَكَشُّفِهِ.[١]

٣. لفظة الطبـگ

ويقصد بها (الجمع بين اثنين أو أكثر) أي جمع اليوم مع ما يليه، إذ اعتادوا أن يفصلوا بين أيامهم وما فيها من السعي بسكون الليل ومستراحهم فيه؛ إلا في هذه الليلة (يطبقوا: أي يجمعوا) ولم يفصلوا بوقت للاستراحة وجعلوا اليوم والليلة متصلين كأنهما قد انطبقا، وهي من الألفاظ المولدة وربما كانت من (انطَبَقَ وهو فعل لازم. وتقول: لو تَطَبَّقَتِ السماء على الأرض ما فعلت.)[٢] أي لو اجتمعت السماء مع الأرض.

وقرر ابن فارس للطَّاء وَالْبَاء وَالْقَاف أَصْلا صَحِيحا وَاحِدا، وَهُوَ يَدُلُّ عَلَى وَضْعِ شَيْءٍ مَبْسُوطٍ عَلَى مِثْلِهِ حَتَّى يُغَطِّيَهُ. مِنْ ذَلِكَ الطَّبَقُ. وَقَوْلُهُمْ: " إِحْدَى بَنَاتِ طَبَقٍ " هِيَ الدَّاهِيَةُ، وَسَمِّيَتْ طَبَقًا لِأَنَّهَا تَعُمُّ وَتَشْمَلُ.)[٣] وربما وصفوا بها بعض لياليهم كما في قَوْله:

ولَيْلة ذَاتِ جَهامٍ أَطْباق

مَعْنَاهُ أَن بعضَه طَبَقٌ لِبَعْضٍ أَي مُساوٍ لَهُ، وجَمَع لأَنه عَنَى الْجِنْسِ، وَقَدْ يَجُوزُ أَن يَكُونَ مِنْ نَعْتِ اللَّيْلَةِ أَي بعضُ ظُلَمِها مُساوٍ لِبَعْضٍ فَيَكُونُ كجُبَّةٍ أَخْلاق وَنَحْوِهَا.

الْعَرَبُ تَقُولُ وَقَعَ فُلَانٌ فِي بَنَاتِ طَبَقٍ إِذَا وَقَعَ فِي الأَمر الشَّدِيدِ؛

وبَنَاتُ الطَّبَقِ: الدواهي، يقال لِلدَّاهِيَةِ إِحْدَى بَنَاتُ طَبَقٍ، وَيُقَالُ لِلدَّوَاهِي بَنَاتُ طَبَقٍ، وَيُرْوَى أَن أَصلها الْحَيَّةُ أَي أَنها اسْتَدَارَتْ حَتَّى صَارَتْ مِثْلَ الطَّبَقِ، وَيُقَالُ إِحْدَى بناتِ طَبَق شَرُّك عَلَى رأْسك، تَقُولُ ذَلِكَ لِلرَّجُلِ إِذا رأَى مَا يَكْرَهُهُ؛ وَقِيلَ: بنتُ طَبَقٍ سُلَحْفاةٌ، وتَزْعُمُ الْعَرَبُ أَنها تَبِيضُ تِسْعًا وَتِسْعِينَ بَيْضَةً كُلُّهَا سَلاحِفُ، وَتَبِيضُ بَيْضَةً تَنْفُضُ عَنْ أَسود، يُقَالُ: لَقِيتُ مِنْهُ بناتِ طَبَقٍ وَهِيَ الدَّاهِيَةُ. الأَصمعي: يُقَالُ جَاءَ بإِحدى بناتِ طَبَقٍ وأَصلها مِنَ الحيَّات، وَذَكَرَ الثَّعَالِبِيُّ أَن طَبَقاً حيَّة صَفْرَاءُ؛ ولمَّا نُعي المنصورُ إِلى خَلَف الأَحمر

أَنشأَ يَقُولُ:

قَدْ طَرَّقَتْ بِبِكْرِها أُمُّ طَبَقْ، ... فَذَمَّرُوهَا وَهْمَةً ضَخْم العُنُقْ،

موتُ الإِمامِ فِلْقَةٌ مِن الفِلَقْ

وَقَالَ غَيْرُهُ: قِيلَ لِلْحَيَّةِ أَمُّ طَبَقٍ وبنتُ طَبَقٍ لتَرَحِّيها وتحَوِّيها، وأَكثر التَّرحِّي للأُنْثَى، وَقِيلَ: قِيلَ لِلْحَيَّاتِ بناتُ طَبَقٍ لإِطْبَاقها عَلَى مَنْ تَلْسَعُهُ،

والطَّابَقُ والطَّابِقُ: ظَرْف يُطْبَخُ فِيهِ، فَارِسِيٌّ مُعَرَّبٌ، وَالْجَمْعُ طَوَابِق وطَوابِيق. قَالَ سِيبَوَيْهِ: أَما الَّذِينَ قَالُوا طَوابيق فإِنما جَعَلُوهُ تَكْسِيرَ فَاعَال، وإِن لَمْ يَكُنْ فِي كَلَامِهِمْ، كَمَا قَالُوا مَلامِحُ.

والطَّبْق، بِفَتْحِ الطَّاءِ: الظُّلْمُ بِالْبَاطِلِ. والطِّبْقُ: الْخُلُقُ الْكَثِيرُ: وَقَوْلُهُ أَنشده ابْنُ الأَعرابي:

كَأَنَّ أَيدِيَهُنَّ بالرَّغَامِ ... أَيْدي نَبِيط، طَبَقَى اللِّطَامِ

فَسَّرَهُ فَقَالَ: مَعْنَاهُ مُدَارِكُوهُ حَاذِقُونَ بِهِ، وَرَوَاهُ

ثَعْلَبٌ طَبِقِي اللِّطَامِ وَلَمْ يُفَسِّرْهُ. قَالَ ابْنُ سِيدَهْ: وَعِنْدِي أَن مَعْنَاهُ لَازِقِي اللِّطَامِ بِالْمَلْطُومِ.)[٤]

وعلى هذا فالمعنى المحلي للفظة الطبگ مأخوذ من التماهي والالتحام والمطابقة، ومنها المُطبَق (مُطبگ) أي المزدوج، وتأتي بمعنى الناي المزدوج الذي فيه قصبتان، ويقال أيضا "طِبج" أي طِبق عن الشيئين ملتصقين أو ملتحمين ببعضهما. فيكون معنى الطبگ (الطّبْق) أي وصل الليل بالنهار، وإطباقهما معا في إحياء الشعائر، وتعظيمها.

٤. المبحث الثالث: أثر الأسماء في مستعمليها

إن لفظتي "الشعائر" والطقوس معاني مأخوذ من الفعل أشعر (أفعل)، إذ الإشْعارُ: الإعلام. والشّعارُ: الْعَلَامَةُ. والشعائر في الخطاب الإسلامي هي ما دعا إليه الشرع الديني وأمر بالقيام به من صلوات وغيرها، مفردها «شعيرة»، و «شعائر الحج» هي مناسكه، ومواضع المناسك هي «المشاعر» ومفردها «مَشْعَر» أما

---

[١] معجم مقاييس اللغة، ١٢٢/٢.

[٢] كتاب العين، ١٠٨/٥-١٠٩.

[٣] معجم مقاييس اللغة، ٤٣٩/٣-٤٤٠.

[٤] لسان العرب، ٢٠٩/١٠-٢١٥، وينظر: تاج العروس من جواهر القاموس، مرتضى الزَّبيدي (ت ١٢٠٥هـ)، دار الهداية، ٤٩/٢٦.

لفظة طقوس فلم ترد في المعجمات العربية القديمة وهي لفظة يونانية معربة وربما اقترنت بالخطاب الديني المسيحي إذ يُشار إلى الشعائر بكلمة «الطقوس» ومفردها «طقس»، وهو نظام الخدمة والصلوات والاحتفالات الدينية.

وكان سياق البحث في الحث على استعمال لفظة الأربعين بدلا من لفظتي مردّ الروس وما يستتبع ذلك من تمسك بأحكام الفقه في شعائر الزيارة، وقادنا البحث هنا إلى الحث مجددا على استعمال السلاح اللغوي أو اللساني في الإرشاد والتثقيف بدلا من التعنيف والتسفيه في استعمال لفظة عاشوراء بدلا من يوم الطبگ وليلة المحيا وما يستتبع ذلك من آثار اجتماعية ونفسية.

ويستوقفنا في تتبع الأثر ما كتبه شمران الياسري في رباعيته وقد اشتهرت في سبعينات القرن الماضي وقد عَدّت بمثابة توثيق لحقبة زمنية من تاريخ العراق منذُ عشرينيات القرن الماضي وحتى منتصف الستينيات؛ إذ كانت من الأدب الواقعي، فيذكر أحد الشخوص في هذه القصة:

(سرقنا الدجاج أكثر من مرة في ليلة "الحِيّة" الله يبلي سنتك يا عبيد يتمتع بحاسة شم ثعلب. يعرف اين نخبئ العجائز البيض والدجاج تبدلت هوايتنا من قنص الفتيات ليلة "الحِيّة"

تساءل نعمة:

–بويه صدگ الجداوه بليلة الحِيّة ثواب؟

–اي بويه ثواب...

–وبوگ الدجاج؟

–كله ثواب. كله ثواب)[1]

ولعلّ من أدرك ذلك الزمان يذكر ما خولط به العوام من جهل وهوى بمثل ما ذكر، إلا ما خالف به المتسالم على تذكره مثل نقله عن إحياء هذه الليلة في قرية نائية فيقول:

(من اشاع فتوى لبس البياض للفتيات في ليلة الحِيّة؟ البياض مستحب ولبس السواد مكروه. أبو التيوس كل ملابسه سوداء. لم أرها من قبل في ثوب أبيض. هل تلبس ثوب رجل فوق ملابسها مثل البقية؟ هراء. لابد أنها تقتني ثوباً نسائياً أبيض... بدت في ثوبها الأبيض كالغرنوق . على حد تعبير صالحة . اقترحت احداهن تعليق الجرس في عنقها لتقود الجوگة [الجوقة]. شكرتها حسنة، ورشحت صالحة لهذه المهمة.

انطلقن ناشرات الشعور، مرددات:

–الليلة حِيّة للصُباح . ارياح يا من تستراح).[2]

ولعل كاتب الرباعية قد التبس عليه الأمر، أو كان الالتباس في المجتمع نفسه وهو أخطر، وما يدفعنا لهذا القول هو ما اشار إليه عزيز جاسم الحجية في كلامه عن المحية: (تصادف المحية ليلة النصف من شهر شعبان اي الليلة الواقعة بين الرابع عشر والخامس عشر منه)[3]، ويسرد ما يصنعه الناس من العاب إذ (تنتظم في كل محلة، خلال الدرابين، البنات والامنيات في موكب خاصة وقد علقت كل واحدة منهن حول رقبتها دنبگا بخيط يخترق عروته... ويهزجن:

همّچ عَلَي يالْنأيمَة هيَّ فَرِد هَلْ ليْلة

والمقصود بهذه الهزوجة "ان كنت مهمومة (الاهتمام)، فاتركي همك علي وشاركينا في هذه الليلة الوحيدة التي لا تمر علينا إلا مرة في كل سنة".

هناك اهزوجة اخرى تحث الناس على المشاركة بالاحتفاء بليلة المحية وهي قولهم:

يا نأيمين اللَّيل يا كفَّارهَ

انْتُو تِنامْو الليل، وحْنَه اسْهَارهَ...

---

[1] رباعية أبو گاطع "الزناد"، شمران الياسري، دار بابل للطباعة والنشر، ط١/١٩٨٩م، ٧٤/١، وينظر: طبعة ثانية للكتاب عام ٢٠٠٧م، ص١٠٧–١٠٨، وفي هامشه: (الحِيّة: اصلها حجة، حيث يقلب حرف الجيم ياءً في معظم المناطق الجنوبية وحتى في بعض دول الخليج...).

[2] رباعية أبو گاطع "الزناد"، ٧٥/١، وفي طبعة ثانية ص١٠٩–١١٠.

[3] بغداديات/ تصوير للحياة الاجتماعية والعادات البغدادية خلال مائة عام، عزيز جاسم الحجية، ١٤١/٢.

ويعتقد الشيخ جلال الحنفي ان اصل ليلة المحية يتوكأ على ليلة النصف من شعبان التي يبادر الناس إلى احيائها بالدعاء والعبادة، ويرى الحاج كاظم شكارة ان احياء تلك الليلة امتداد للاحتفال بميلاد السلطان عبدالحميد... وهناك من يذهب إلى ان هذه الليلة مهرجان شعبي يقام للتعبير عن الفرحة بميلاد المهدي (ع)... حتى إذا أدركهم الاعياء والتعب وبزع الفجر يبشر الساهرين بالصبِاح... تعالت الاصوات من كل دربونة:

يَمِحيَه حِيينَاج والعايِشَ الله ايِشُوفج [١]

٥. نتائج البحث

- تنازع قضية الإمام الحسين ع بين ما ورد في التراث والصبغة الشعبية عند العوام في جوانب مختلفة حتى يبلغ الاختلاف مستوى الكنية فهو ابو عبد الله كما تشير الروايات لكن كنيته عند العراقيين اليوم ابو علي. (والعراقيون ينادون أي شخص اسمه حسين ب أبو علي).
- إن المنهج المحلي Vernacularism كفيل بتحليل الخطاب المحلي Discourse analysis حيث تردد على ألسنة العراقيين ألفاظ ربما يصعب على غيرهم معرفتها لخصوصيتها المحلية، إذ أنها وليدة وضع ثقافي خاص يتعلق بزيارة أهل البيت ع رغم أن جذورها في الغالب عربية خالصة لكن الاتساع الدلالي انزاح بمعانيها الى معان جديدة. ومع إن المدرسة البنيوية تهمل السياق كلياً، وتعتمد النص ذاته بوصفه إطارا وحيدا للفهم والتحليل، فيما تذهب التداولية (Pragmatics) والاتجاهات اللسانية الوظيفية واللسانيات الاجتماعية عامة إلى اعتماد السياق بوصفه جزءا أساسيا من الجملة والنص ذاتهما، إلا أن المحلية باستعمالها التحليل الثيمي Thematic analysis وباعتمادها المنهج الاستردادي Retrospective method وتقديمها البحث الميداني واللغات المحكية المحلية، هي المنهج الشامل الذي يوفر كل الأدوات النقدية والتحليلية التي يحتاجها الباحث للوصول إلى دقائق المعاني والثيمات المحلية.
- الفرد بوصفه كائنا اجتماعيا لا يملك إلا إمكانات محدودة في طرائق استعماله لعلامات اللغة أثناء تواصله محكوما باللاشعور الثقافي والاجتماعي والديني الذي يحدد له إمكانيات التفكير ويخضع لما يسميه كريماس "لعبة الإكراهات السيميائية".
- تأثر اللغة بالعادات والتقاليد والنظام الاجتماعي في زمان ومكان معينين قائم منذ أنْ وُجدت اللغة، ووجدت الحياة الاجتماعية، فجوهر الإنسان إنّما يكمنُ في لغته النامية بين طيات حياته الاجتماعية.
- إن للعدد اثرا كبيرا في حياة العرب ولو كانوا أميين فلا تجد عدداً أو جزءا من العدد لا يذكره القرآن المجيد وهو يخاطبهم حتى استقر في وجدانهم الإتمام بالعشرة
- للفظة عشرة في العربية أصلان أولهما العدد المعروف والْآخَرُ الدَّالُّ عَلَى الْمُعَاشَرَةُ، وَلو ردّ للأصل الأول كان صوابا؛ فإنما تكون العشرة والمعاشرة بالتعارف والمصافحة، وهو التقاء خمس بخمس، أي: خمسة أصابع من كل كفّ. (شبكت عشري على رأسي . شعر).
- إن أصل لفظة الحيّة: هي حجة، حيث يقلب حرف الجيم ياءً (لغة تميم) في معظم المناطق الجنوبية وحتى في بعض دول الخليج، و(الحِيّة) هنا المقصود بها ليلة عاشوراء حيث يسهر الناس ليلتها حتى الصباح ولا يقصد بها إلا الليلة دون نهارها؛ كأن النوم موت ويجعل زمانه مثله، فإن قام الناس للعبادة كان إحياء لميت الليل.
- الطبگ يقصد به اليوم إذ اعتاد الناس أن يفصلوا بين أيامهم وما فيها من السعي بسكون الليل ومستراحهم فيه؛ إلا في هذه الليلة فلم يفصلوا بوقت للاستراحة وجعلوا اليوم والليلة متصلين كأنهما قد انطبقا.
- الشعائر في الخطاب الإسلامي هي ما دعا إليه الشرع وأمر بالقيام به من صلوات وغيرها، مفردها «شعيرة»، و«شعائر الحج» هي مناسكه، ومواضع المناسك هي «المشاعر» ومفردها «مَشْعَر» أما لفظة طقوس فلم ترد في المعجمات العربية القديمة وهي لفظة يونانية معربة وربما اقترنت بالخطاب الديني المسيحي.
- التوصية بالحث على استعمال المحلية كمنهج علمي أكثر دقة وإنصافا، وأيسر في إدراك المعاني الخاصة والمحلية، وهي منهج واتجاه لغوي أو لساني يسهم في الإرشاد والتثقيف بدلا من الانتقاء والاستبعاد والتقييم (بين الفصيح الرسمي والعامي الشعبي) خاصة في استعمال لفظة عاشوراء بدلا من يوم الطبگ وليلة المحيا وما يستتبع ذلك من آثار دينية واجتماعية ونفسية.

[١] بغداديات/ تصوير للحياة الاجتماعية والعادات البغدادية خلال مائة عام، ١٤٩/٢-١٥١.

Conflicts Of Interest

The author declares no conflicts of interest with regard to the subject matter or findings of the research.

Funding

No grant or sponsorship is mentioned in the paper, suggesting that the author received no financial assistance.

Acknowledgment

The author would like to thank the institution for creating an enabling environment that fostered the development of this research.

References

[1] The Holy Quran
[2] Al-Hajjaj, N. (2024). *Arab vernacularism.* Diwan of Basra Governorate. mesopotamian
[3] Al-Hajjaj, N. (2012). *The identity of Iraqi poetry.* Beirut. kiqp
[4] Zakaria, M. (1983). *Linguistics: Modern linguistic science* (2nd ed.). University Institution for Studies, Publishing, and Distribution. Noor Books
[5] Al-Tamimi, J. K. I. (2016). *Anthropological linguistics: An epistemological perspective on the study of Iraqi cultural structure* (Doctoral dissertation). College of Arts, Al-Mustansiriyah University. Google Books
[6] Al-Hujjiah, A. J. (n.d.). *Baghdadiyat: A depiction of social life and customs in Baghdad over a century.* Noor Books
[7] Al-Zabidi, M. (d. 1205 AH). (n.d.). *Taj al-ʿarus min jawahir al-qamus.* Dar Al-Hidaya. Noor Books
[8] Al-Yasiri, S. (1989). *The Abu Katiʿa tetralogy* (1st ed.). Dar Babel for Printing and Publishing. goodreads
[9] Ibn Majah, M. (d. 273 AH). (n.d.). *Sunan Ibn Majah* (M. F. Abdul-Baqi, Ed.). Dar Al-Fikr. shamela
[10] Al-Bayhaqi, A. B. (d. 458 AH). (2003). *Al-Sunan al-kubra* (M. A. Q. Atta, Ed., 3rd ed.). Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah. shamela
[11] Mohsib, M. (n.d.). *In sociolinguistics: Translations, studies, and articles.* Dar Kunuz Al-Maʿrifah. Noor Books
[12] Ducrot, O., & Schaeffer, J.-M. (2007). *The new encyclopedic dictionary of linguistic sciences* (M. Ayashi, Trans., 2nd ed.). Arab Cultural Center. Internet Archive
[13] Al-Farahidi, A. I. A. (d. 170 AH). (n.d.). *Kitab al-ʿAyn* (M. Al-Makhzoumi & I. Al-Samarrai, Eds.). Dar wa Maktabat Al-Hilal. shamela
[14] Ibn Manzur, M. (d. 711 AH). (1993). *Lisan al-ʿArab* (A. A. Al-Kabir, M. A. Hasballah, & H. M. Al-Shazly, Eds., 3rd ed.). Dar Sader. Internet Archive
[15] Nahr, H. (1998). *Sociolinguistics* (1st ed.). Dar Al-Amal for Publishing and Distribution. Noor Books
[16] Al-Ghadhami, A. (n.d.). *Neoliberalism: Questions on freedom and cultural negotiation.* Arab Cultural Center. Noor Books
[17] Al-Masdi, A. S. (2010). *Foundational studies in linguistics* (1st ed.). Dar Al-Kitab Al-Jadeed Al-Muttahidah. Noor Books
[18] Ali, M. Y. (2004). *Introduction to linguistics* (1st ed.). Dar Al-Kitab Al-Jadeed Al-Muttahidah. Noor Books
[19] Ahmad bin Hanbal, I. (d. 241 AH). (2001). *Musnad of Imam Ahmad bin Hanbal* (S. Al-Arnaʾut, A. Murshid, et al., Eds., 1st ed.). Al-Resalah Foundation. Internet Archive
[20] Al-Fassi Al-Fihri, A., & Al-Amadi, N. (n.d.). *Dictionary of linguistic terms.* Noor Books
[21] Ibn Faris, A. A. A. Z. (d. 395 AH). (1979). *Muʿjam maqayis al-lugha* (A. S. M. Harun, Ed.). Dar Al-Fikr. Internet Archive